حكايات الفرسان

لانسلت البحيري





يَتَحَوَّلُ العَديدُ مِنَ الرِّجالِ إلى أَبْطالٍ أُسْطورِيِّينَ تُحاكُ مِنْ حَولِهِم ٱلأَخْبارُ ٱلخارِقَةُ ، وَتُرْوَى ٱلحِكاياتُ وَٱلأَعاجيبُ . مِنْ هٰؤُلاءِ ٱلمَلِكُ آرْثَر وَما يُرْوَى عَنْ سَيْفِهِ ٱلعَجيبِ وَفُرْسانِهِ وَمائِدَةِ ٱلفُرْسانِ ٱلمُسْتَديرَةِ . وَأَمَّا ٱلأَساسُ ٱلتّاريخِيُّ لِهٰذِهِ ٱلحِكاياتِ فَهُوَ أَنَّ أَحَدَ ٱلفُرْسانِ ٱلإِنْكليز قادَ بَعْدَ خُروجِ ٱلرُّومانِ مِنْ بريطانية فَريقاً مِنْ رِجالِهِ ضِدَّ ٱلغُزاةِ مِنَ ٱلسَّكْسون ، فَنُسِجَتْ حَوْلَ بُطولاتِهِ ٱلأَساطيرُ .

وَمَعَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلبُطولاتِ ذاتُ صِبغَةٍ خَيالِيَّةٍ ، فَهِيَ تُمَثِّلُ في مَجْموعِها ٱلمُثُلَ ٱلعُلْيا ٱلَّتي يُؤْمِنُ بِها ٱلنّاسُ بِعامَّةٍ . وَلا شَكَّ أَنَّ بَيْنَ ٱلمُثُلِ ٱلَّتي نَراها هُنا ، وَبَيْنَ مُثُلِ ٱلفُروسِيَّةِ ٱلعَرَبِيَّةِ شَبَهاً كَبيراً . فَها هُنا ٱلفُرْسانُ ، أَيْضاً ، يَنْصُرونَ ٱلضَّعيفَ ، وَيَحْمونَ ٱلمَرْأَةَ ، وَيَذودونَ عَنِ ٱلحِياضِ ، وَيَلْتَزِمونَ كَلِمَةَ ٱلشَّرَفِ وَلا يَغْدُرونَ بِٱلخَصْمِ ، وَيَحْفَظونَ ٱلصَّداقَةَ وَٱلوَفاءَ ، وَيَتَمَسَّكونَ بِٱلحُبِّ ٱلنَّبيلِ ٱلشَّريفِ ٱلَّذي تَهونُ في سَبيلِهِ ٱلتَّضْحِياتُ .

وَجاءَتْ حِكاياتُ ٱلفُرْسانِ هٰذِهِ بِأُسْلوبٍ قَصَصِيٍّ رائِعٍ يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلتَّشْويقِ وَفَصاحَةِ ٱلتَّعْبيرِ وَبَساطَتِهِ ، مِمّا يَزيدُ مِنْ أَثَرِها في نُفوسِ ٱلصِّغارِ وَٱلكِبارِ عَلى ٱلسَّواءِ . وَهِيَ إِلى ذٰلِكَ تُوَسِّعُ مِنْ آفاقِنا بِٱلتَّعَرُّفِ إِلى أَخْلاقِ ٱلشُّعوبِ وَعاداتِها وَطَبيعَةِ حَياتِها .

طُبـع في انكلترا

لانسِلُت البُحَيْرِيّ

تأليف : دِزْمُنْد دَنْكِرْلي
رسُوم : روبرت آيتون
نقله الى العَرَبِيَّة : الدّكتور ألبير مُطْلَق



الناشرون :
مكتبة لبنان — بيروت
ليديبرد بُوك ليمتد — لافبورو
لونغمان — هارلو

قَلْعَةُ ٱلنَّهْرِ

في يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلصَّيْفِ ، قال السِّير لانْسِلُت لِابْنِ عَمِّهِ ٱلشّابِّ لَيونِل : «طالَ بي ٱلْمُقامُ في ٱلبَلاط ، وَلَسْتُ أُطيقُ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلعيشَةِ ٱلبَطيئَةِ ٱلْمُتَكاسِلَةِ . أنا أتوقُ إلى ٱلنَّشاطِ وَٱلْمُغامَراتِ ، وإلّا تَحَوَّلْتُ مِنَ ٱلْخُشونَةِ إلى ٱللُّيونَةِ وَبِتُّ وَكَأَنّي مَريضٌ .»

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْنِ فُرْسانِ ٱلمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ جَميعِهِمْ مَنْ هُوَ أَشْهَرُ مِنَ السِّير لانْسِلُت ٱلْبُحَيْرِيِّ شَجاعَةً وَقُوَّةً . وَلِذا ضَحِكَ ٱلسِّير لَيونِل وَهُوَ يَقولُ : «كَيْفَ تَقولُ هذا ، يا بْنَ ٱلعَمِّ ، وَلَيْسَ في بَرِيطانية كُلِّها مَنْ هُوَ أَعْظَمُ قَدْرًا مِنْكَ ، وأنَّ كِلا ٱلْمَلِكِ وَٱلْمَلِكَةِ يَضَعُ مَكانَكَ فَوْقَ كُلِّ مَكانٍ ؟»

وَأَصابَ ذِكْرُ ٱلْمَلِكَةِ وَجْهَ السِّير لانْسِلُت بِعُبوسٍ مُفاجِىءٍ . فَإِنَّهُ مُنْذُ أَنْ وَقَعَتْ عَيْناهُ عَلى ٱلْمَلِكَةِ جنيڤر ، أَوَّلَ مَرَّةٍ ، أَدْرَكَ أَنَّهُ لَنْ يُحِبَّ ٱمْرَأَةً سِواها . وَلَمّا كانَتْ جنيڤر مَلِكَتَهُ فَسَبيلُهُ ٱلوَحيدُ إلى إثْباتِ حُبِّهِ هُوَ أَنْ يَخْدِمَها بِشَرَفٍ وَتَفانٍ كما يَخْدِمُ ٱلفارِسُ ٱلحَقُّ مَوْلاتَهُ .

لَمْ يَلْحَظِ السِّير لَيونِل ما أَصابَ السِّير لانْسِلُت مِنْ عُبوسٍ ، فَأَرْدَفَ يَقولُ : «يَعْتَبِرُكَ ٱلنّاسُ كُلُّهُمْ أَشْجَعَ مَنْ عاشَ في ٱلْمَمْلَكَةِ مِنَ ٱلفُرْسانِ .»

فأجابَ السِّير لانْسِلُت : «لَيْسَ ٱلنّاسُ كُلُّهُمْ ، يا بْنَ ٱلعَمِّ . فالسِّير موردْرِد لا يَرى هٰذا ٱلرَّأْيَ .»





فصاحَ السّير لَيونِل بانْفِعالٍ : «ذاكَ لِأَنَّهُ يَغارُ مِنْكَ .»

وَراحَ لانسِلُت يُفكِّرُ كَيْفَ كانَ موردْرِد وَرِفاقُهُ يُرَوْنَ في كَثيرٍ مِنَ ٱلْأَحْيانِ يَتَهامَسونَ سِرًّا فيما بَيْنَهُمْ ، وَكَيْفَ أَنَّهُمْ يُمْسِكونَ عَنِ ٱلتَّهامُسِ إِذا رَأَوْهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قالَ : «ٱلْأَمْرُ يَتَجاوَزُ ٱلْغَيْرَةَ . فَإِنَّ لَهُ رِفاقًا يَرَوْنَ رَأْيَهُ ، وَلا تَزالُ والِدَتُهُ ، مورجان لو فاي ، تَعْتَقِدُ أَنَّ ٱبْنَها أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْ مَوْلانا آرْثر ، وَإِنِّي لَأَخْشى أَنَّها تَرى فِيَّ ، عَلى نَحْوٍ ما ، ٱلْوَسيلَةَ ٱلَّتي تَتَحَقَّقُ بِها مَآرِبُها .»

وَلَمّا كانَ السّير لَيونِل فَتِيًّا فَإِنَّهُ لَمْ يَرُقْ لَهُ هٰذا ٱلْجِدُّ في ٱلْحَديثِ في مِثْلِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلْبَديعِ ، فَغَيَّرَ مَوْضوعَ ٱلْكَلامِ قائِلًا :

«كَيْفَ تَشْكو مِنْ قِلَّةِ ٱلْمُغامَراتِ ، وَقَدْ خُضْتَ ٱلعَديدَ مِنْها ؟ فَأَنا ٱلْأَوْلى بِٱلشَّكْوى ، إِذْ لَمْ أَخُضْ مُغامَرَةً واحِدَةً بَعْدُ .»

أَبْعَدَ السّير لانسِلُت ٱلْأَفْكارَ ٱلسَّوْداءَ عَنْ مُخَيِّلَتِهِ ، وَهَبَّ واقِفًا ، وَهَتَفَ بِٱبْتِهاجٍ : «أَنْتَ مُحِقٌّ يا بْنَ عَمّي ٱلْفَتِيَّ . سَنَمْضي في ٱلتَّوِّ وَٱلسّاعَةِ مَعًا نَطْلُبُ مُغامَرَتَكَ ٱلْأُولى .»

وَٱمْتَطى ٱلْفارِسانِ فَرَسَيْهِما وَمَضَيا . وَسُرْعانَ ما خَلَّفا بَلْدَةَ كامِلوت وَراءَهُما . وَلَمْ يَكونا يَسْمَعانِ في ٱنْطِلاقِهِما غَيْرَ خَشْخَشَةِ عُدَّةِ فَرَسَيْهِما ، وَغَيْرَ تَغْريدِ طُيورِ ٱلْغابَةِ وَصَوْتِ ٱلْحَيَواناتِ ٱلْمُجْفِلَةِ وَهِيَ تَتَراكَضُ مِنْ أَمامِهِما .



وَتزايَدَتْ حَرارَةُ ٱلشَّمْسِ ، وما إِنِ ٱنْتَصَفَ ٱلنَّهارُ حَتّى كانَ ٱلفارِسانِ قَدْ شَعَرا بِٱلنُّعاسِ .

قالَ السّيرِ لانْسِلُت بِتَثاقُلٍ : «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ حَياةَ ٱلبَلاطِ عَلَّمَتْني ٱلكَسَلَ ؟ كُنْتُ فيما مَضى قادِرًا عَلى رُكوبِ ٱلْجَوادِ ٱلنَّهارَ كُلَّهُ ، وَٱليَوْمَ أَحْتاجُ إِلى أَنْ أَسْتَريحَ بَعْدَ رُكوبِ ثَلاثِ ساعاتٍ فحسب .»

فَرَدَّ السّيرِ لَيونِل قائِلًا : «أُنْظُرْ إِذًا ، فَفي ذٰلِكَ ٱلمَكانِ ٱلْمُعْشَوْشِبِ شَجَرَةُ تُفّاحٍ سَتُظِلُّكَ أَغْصانُها إِنْ أَنْتَ نِمْتَ . وَسَأَتَوَلّى أَنا ٱلحِراسَةَ .»

وَهٰكَذا رَبَطَ ٱلرَّجُلانِ فَرَسَيْهِما . وَٱسْتَلْقى السّيرِ لانْسِلُت عَلى العُشْبِ جاعِلًا مِنْ خُوذَتِهِ وِسادَةً ، وَسُرعانَ ما غَطَّ في نَوْمٍ عَميقٍ . وَجَلَسَ السّيرِ لَيونِل عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ يَحْرُسُ ٱلمَكانَ خَشْيَةَ وُقوعِ هُجومٍ عَلَيْهِما .

كانَ ٱلْجَوُّ ساكِنًا لا نَسيمَ فيهِ ، وَٱلنَّهارُ لا يَزالُ حارًّا ، فَأَحَسَّ السَّيِّر لَيونِل بِٱلنُّعاسِ . إِلّا أَنَّ ٱلنُّعاسَ طارَ فَجْأَةً مِنْ عَيْنَيْهِ ، إِذْ سَمِعَ وَقْعَ حَوافِرِ خَيْلٍ عَلى ٱلْمَرْجِ ٱلنّاعِمِ وَصَلْصَلَةَ بِزّاتِ ٱلزَّرَدِ وَعَتادِ ٱلْجِيادِ. فَنَظَرَ مِنْ حَوْلِهِ نَظْرَةً خاطِفَةً فَرَأى ، عَلى بُعْدٍ ، فارِسًا عِمْلاقًا يُطارِدُ ثَلاثَةَ فُرْسانٍ مُنْطَلِقِينَ بِسُرْعَةٍ هائِلَةٍ .



وَقَدْ رَأى السَّيِّر لَيونِل ٱلْفارِسَ ٱلعِمْلاقَ يُجَنْدِلُ ٱلفُرْسانَ ٱلثَّلاثَةَ ، ٱلواحِدَ تِلْوَ ٱلآخَرِ ، ثُمَّ يَتَرَجَّلُ عَنْ جَوادِهِ وَيُوثِقُهُمْ ثُمَّ يَطْرَحُهُمْ عَلى أَسْرِجَةِ خَيْلِهِمْ ، وَيَرْبِطُ أَعِنَّةَ ٱلجِيادِ ، ٱلواحِدَ إِلى ٱلآخَرِ ، ثُمَّ يَمْضي في مُقَدِّمَةِ هٰذا ٱلمَوْكِبِ ٱلغَريبِ .

وَسُرْعانَ ما هَبَّ السَّيِّر لَيونِل واقِفًا ثُمَّ امْتَطى جَوادَهُ دُونَ أَنْ يُوقِظَ السَّيِّر لانْسِلُت ، وَراحَ يُطارِدُ ٱلْمَوْكِبَ ، وَهُوَ يَقولُ :

«ٱلْمُغامَرَةُ ٱلَّتي أَبْحَثُ عَنْها جاءَتْ تَسْعى إِلَيَّ !»

وما إِنِ اقْتَرَبَ مِنَ ٱلْمَوْكِبِ حَتّى صاحَ : «قِفْ ، أَيُّها ٱلسَّيِّدُ



ٱلفارِسُ !» فَالْتَفَتَ ٱلفارِسُ عِنْدَ سَماعِهِ ٱلصَّيْحَةَ وَوَجَّهَ رُمْحَهُ إِلى ٱلشّابِّ ٱلمُهاجِمِ وَصَدَمَهُ بِقُوَّةٍ هائِلَةٍ رَمَتْهُ أَرْضًا ، ثُمَّ أَوْثَقَهُ هُوَ ٱلآخَر وَرَماهُ عَلى سَرْجِ جَوادِهِ ، وَقادَهُ مَعَ ضَحاياهُ ٱلثَّلاثَةِ ٱلآخَرِينَ . وَمَرَّ ٱلمَوْكِبُ بِجِوارِ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتي كانَ السَّيِّر لانْسِلُت لا يَزالُ يَنامُ تَحْتَها نَوْمًا عَميقًا ، غَيْرَ أَنَّ ٱلحَشائِشَ أَخْفَتْهُ عَنِ ٱلعِيانِ .

وَكانَ السِّير إكْتور ، في هٰذِهِ ٱلْأَثْناءِ ، يَبْحَثُ عَنِ السِّير لانْسِلُت في كُلِّ مَكانٍ مِنْ كامِلوت . وَحينَ ذُكِرَ لَهُ أَنَّ السِّير لانْسِلُت شوهِدَ يُغادِرُ ٱلْبَلْدَةَ في ٱلصَّباحِ ٱلْباكِرِ بِرِفْقَةِ ابْنِ عَمِّهِ ٱلشّابِّ لَيونِل ، وَأَنَّهُما كِلَيْهِما كانا مُسَلَّحَيْنِ ، قَدَّرَ أَنَّهُما خَرَجا يَطْلُبانِ ٱلْمُغامَرَةَ . فَانْطَلَقَ في ٱلِاتِّجاهِ نَفْسِهِ آمِلًا أَنْ يَلْحَقَ بِهِما .

وَمَضى في ٱلْغابَةِ ساعاتٍ دُونَ أَنْ يُقابِلَ أَحَدًا ، إِلى أَنِ ٱلْتَقى أَخيرًا بِعَجوزٍ يَجْمَعُ ٱلْحَطَبَ ، فَسَأَلَهُ : «قُلْ لي أَيُّها ٱلرَّجُلُ ٱلطَّيِّبُ ، أَرَأَيْتَ فارِسَيْنِ يَسْلُكانِ هٰذا ٱلِاتِّجاهَ ؟»

فَأَجابَ ٱلْعَجوزُ : «لا ياسَيِّدي ، لَمْ أَرَ أَحَدًا ، وَلٰكِنْ ، إِذا كانا حَقًّا قَدْ سَلَكا هٰذا ٱلِاتِّجاهَ فَهُما ٱلْآنَ إِمّا مَيِّتانِ أَوْ سَجينانِ في حِصْنِ السِّير تيرْكِن ٱلنَّهْرِيِّ مَعَ سِواهُما مِنَ ٱلسُّجَناءِ .»

فَزَمْجَرَ السِّير إكْتور غاضِبًا : «ما ٱلَّذي تَقولُهُ ؟ مَنْ يَكونُ السِّير تيرْكِن هٰذا ، وَأَيْنَ يَقَعُ حِصْنُهُ ؟»

فَأَجابَ ٱلْعَجوزُ : «يَقَعُ عَلى بُعْدِ ثَلاثَةِ كيلومِتْراتٍ مِنْ هُنا ، يا سَيِّدي ، عِنْدَ مَعْبَرِ ٱلنَّهْرِ ، وَسَتَجِدُ قُبَيْلَ ٱلْوُصولِ إِلَيْهِ شَجَرَةَ سِنْديانٍ تُنْبِئُكَ بِما تَوَدُّ أَنْ تَعْرِفَهُ .»

فَشَكَرَ السِّير إكْتور ٱلْعَجوزَ وَمَضى مُتَحَيِّرًا مِنْ كَلِماتِهِ .



وَحِينَ دارَ السّيِر إكْتور حَوْلَ مُنْعطَفٍ مِنْ مُنْعَطَفاتِ ٱلطَّرِيقِ وَجَدَ نَفْسَهُ أَمامَ شَجَرَةِ سِنْدِيانٍ انْتَشَرَتْ أَغْصانُها فَوقَ مَعْبَرِ ٱلنَّهْرِ ٱلَّذي تَقَعُ عِنْدَهُ. وَما إِنْ وَقَعَتْ عَلَيْها عَيْناهُ حَتّى أَدْرَكَ ما كانَ ٱلعَجوزُ قَدْ قَصَدَهُ، فَقَدْ تَدَلَّتْ مِنْ أَغْصانِ ٱلشَّجَرَةِ دُروعُ ٱلعَديدِ مِنَ ٱلفُرْسانِ، وَمِنْ بَيْنِها دِرْعُ السّيِر لَيونِل.

وَمِنْ أَحَدِ ٱلفُروعِ تَدَلّى قُرْصٌ نُحاسِيٌّ ضَخْمٌ، سَدَّدَ السّيِر إكْتور رُمْحَهُ إِلَيْهِ وَضَرَبَهُ بِقَسْوَةٍ. وَما إِنْ تَلاشَتْ أَصْداءُ ٱلضَّرْبَةِ حَتّى بَرَزَ مِنَ ٱلقَلْعَةِ في ٱلطَّرَفِ ٱلآخَرِ مِنَ ٱلنَّهْرِ فارِسٌ عِمْلاقٌ يَعْدو بِهِ جَوادُهُ. كانَ ذٰلِكَ السّيِر تيرْكِن، وَقَد بادَرَ خَصْمَهُ بِخُشونَةٍ قائِلًا:

«لِمَ اسْتَدْعَيْتَني بِهٰذا ٱلعُنْفِ؟ وَمِنْ أَجْلِ مَنْ تُنازِلُني؟»

فَأَجابَ السّيِر إكْتور: «أُنازِلُكَ مِنْ أَجْلِ هٰؤُلاءِ!» وَأَشارَ بِرُمْحِهِ إِلى ٱلدُّروعِ ٱلمُعَلَّقَةِ، ثُمَّ انْدَفَعَ بِفَرَسِهِ لِمُلاقاةِ السّيِر تيرْكِن. وَكانَتْ ضَرْبَةُ السّيِر إكْتور هائِلَةً حَتّى كادَتْ تَقْتَلِعُ خَصْمَهُ مِنْ فَوْقِ جَوادِهِ، وَلٰكِنْ في ٱلصِّدامِ ٱلثّاني سَقَطَ السّيِر إكْتور عَنْ فَرَسِهِ غائِبًا عَنِ ٱلوَعْيِ.

وَاسْتَيْقَظَ مِنْ إِغْمائِهِ فَإِذا هُوَ في زِنْزانَةٍ مُعْتِمَةٍ، وَمِنْ حَوْلِهِ السّيِر لَيونِل وَفُرْسانٌ آخَرونَ. وَابْتَدَرَ السّيِر لَيونِل صَديقَهُ قائِلًا:

«أَيْنَ هُوَ السّيِر لانسِلُت؟ إِنَّهُ وَحْدَهُ قادِرٌ عَلى قَهْرِ السّيِر تيرْكِن هٰذا.»



فَأَجابَ السّيِر إكْتور: «كُنْتُ أَظُنُّهُ مَعَكَ، فَقَدْ غادَرْتُما كامِلوت مَعًا.»

فَرَدَّ السّيِر لَيونِل بِأَسًى: «تَرَكْتُهُ نائِمًا في ظِلِّ شَجَرَةِ تُفّاحٍ.»

وَلَمْ يَكُنِ السَّيرِ لانْسِلُت آنَذاكَ تَحْتَ شَجَرَةِ التُّفّاحِ . فَإِنَّهُ حِينَ أَفاقَ مِنْ نَوْمِهِ فُوجِئَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَمَدِّدًا فَوْقَ بُقْعَةٍ مُعْشَوْشِبَةٍ مِنَ الرِّيفِ الدّافِئِ ، وإِنَّما عَلى فَرْشَةِ قَشٍّ خَشِنَةٍ فِي غُرْفَةٍ بارِدَةٍ مُظْلِمَةٍ .



فَهَبَّ واقِفًا وَضَرَبَ بِكِلْتا يَدَيْهِ عَلى الْبابِ الْمُقْفَلِ ، وَنادى ، وَلٰكِنْ دُونَ مُجيبٍ . وَكانَ سَيْفُهُ قَدِ انْتُزِعَ مِنْهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ خَلْعَ الْبابِ ، فَجَلَسَ يُفَكِّرُ في وَسيلَةٍ لِلنَّجاةِ . وَكانَ في أَعْلى الْجِدارِ كُوَّةٌ ضَيِّقَةٌ يَتَسَرَّبُ مِنْها وَحْدَها ضَوْءُ النَّهارِ ، وَما إِنْ خَيَّمَ الظَّلامُ حَتّى اخْتَفى هٰذا الضَّوْءُ ، وَغَرِقَتِ الْغُرْفَةُ في ظَلامٍ دامِسٍ .

وَراحَتِ الْجِرْذانُ طَوالَ اللَّيْلِ تَراكَضُ في أَنْحاءِ الزِّنْزانَةِ تَنْبُشُ القَشَّ وَتَتَغَلْغَلُ فيهِ باحِثَةً عَنْ طَعامٍ . وَكانَ لانْسِلُت يُحِسُّ بِها بَيْنَ الْحينِ وَالْآخَرِ تَعَضُّهُ ، فَيُبْعِدُها عَنْهُ باشْمِئْزازٍ . وَحينَ طَلَعَ الْفَجْرُ اخْتَفَتِ الْجِرْذانُ ، وَانْفَتَحَ الْبابُ مُحْدِثًا صَريرًا ، وَدَخَلَتْ مِنْهُ فَتاةٌ رَثَّةُ الثِّيابِ وَوَضَعَتْ عَلى الْأَرْضِ إِبْريقَ ماءٍ وَرَغيفَ خُبْزٍ .

فهبَّ لانسلت واقفًا وأمسكَ بذراعِ الفتاةِ ، وسألها بانفعالٍ :
«أيُّ مكانٍ هذا ؟ ومَنْ ذا الذي يحتجزني ؟»

فأجابتِ الفتاةُ : «هٰذهِ قلعةُ مورجان لو فاي ، يا سيِّدي ، وقدْ جيءَ بكَ أمسِ وأنتَ فاقدُ الوعْيِ تحتَ تأثيرِ تعويذةٍ ، كما يقولونَ .»

فصرخَ لانسلت قائلًا : «ليسَ في الأمرِ تعويذةٌ ، يا صبيَّةُ . وإنَّما هُمْ خدَّروني وأنا نائمٌ . ولكنْ لِمَ فعلوا بي ذٰلكَ ؟»

فاستدارتِ الفتاةُ لتخرجَ ، وقالتْ بخوفٍ : «لا أدري ، يا سيِّدي . أنا ذاهبةٌ الآنَ ، وإلَّا ظنَّتِ السيِّدةُ أنَّني أطلتُ البقاءَ عندكَ .»

فسألها لانسلت : «ألا تعرفينَ وسيلةً تساعدينني بها على الخلاصِ منْ هٰذا المكانِ ؟»

فوقفتِ الفتاةُ عندَ البابِ ، وقالتْ بعصبيَّةٍ : «قدْ أجدُ وسيلةً ، على أنْ تأخذني معكَ وأنْ تحميني ، حتَّى ولوْ كلَّفكَ ذٰلكَ حياتكَ .»

فأجابَ لانسلت قائلًا : «يُسعدني أنْ أفعلَ ذٰلكَ .»

فردَّتِ الفتاةُ قائلةً : «إذنْ أعودُ إليكَ ليلًا بعدَ أنْ ينامَ سكَّانُ القلعةِ .»

وراحَ لانسلت يترقَّبُ بفارغِ الصبرِ حلولَ الليلِ . وأخيرًا سمعَ صريرَ البابِ ودخلتِ الفتاةُ تحملُ سيفَهُ ودرعَهُ . وضعتِ الدرعَ على

الأرضِ ، وقدَّمتِ السيفَ إليهِ ، وقالتْ :
«أنتَ السير لانسلت العظيمُ . فإنِّي سمعتُهمْ مساءً يتحدَّثونَ في القاعةِ .»

تناولَ لانسلت السيفَ ، وأجابَ : «أنا هوَ حقًّا . ولكنْ ألمْ تسمعي لِمَ يحتجزونني ؟»



فهمستِ الفتاةُ قائلةً : «سمعتُ ، ولكنْ لمْ أفهمْ ممَّا سمعتُ شيئًا . فلقدْ قيلَ إنَّ خبرَ أسركَ سيصلُ في خلالِ يومينِ إلى بلدةِ كاملوت ، وإنَّهمْ يأملونَ حينذاكَ أنْ تذهلَ المفاجأةُ المليكةَ فتفضحَ بكلمةٍ منْ كلماتها أوْ بحركةٍ منْ حركاتها ، حبَّها لكَ وحبَّكَ لها .»

فغمغمَ لانسلت قائلًا : «ويكونُ في هٰذا تشويهُ سمعةِ الملكِ وتهديمُه . وماذا سمعتِ أيضًا ؟»



فَرَدَّتِ ٱلفَتاةُ قائِلَةً : «هٰذا ما سَمِعْتُ . وَما يُهِمُّني حَقًّا هُوَ أَنَّكَ ٱلوَحيدُ مِنْ بَيْنِ فُرْسانِ ٱلأَرْضِ ٱلقادِرُ عَلى إِنْقاذي وَإِنْقاذِ أَبي هَلُمَّ بِنا ٱلآنَ ، يا سَيِّدي ، فَعَلَيْنا أَنْ نَكونَ بَعيدَيْنِ حينَ يَسْتَيْقِظُ ٱلقَوْمُ . وَلَقَدْ رَبَطْتُ جَوادَيْنِ إِلى شَجَرَةٍ قَريبَةٍ مِنَ ٱلقَلْعَةِ .»

وَقَصَّتِ ٱلصَّبِيَّةُ ، في أَثْناءِ تَسَلُّلِهِما عَبْرَ ٱلمَمَرّاتِ ٱلضَّيِّقَةِ في ٱلقَلْعَةِ ٱلسّاكِنَةِ ٱلنّائِمَةِ ، كَيْفَ أَنَّ فارِسًا قاسِيًا قَوِيًّا كانَ قَدِ ٱسْتَوْلى عَلى أَراضي والِدِها وَحَبَسَهُ في قَلْعَتِهِ هُوَ وَفُرْسانًا كُثْرًا آخَرينَ . وَأَنَّ ذٰلِكَ ٱلفارِسَ ٱلشِّرِّيرَ باعَها هِيَ نَفْسَها إِلى مورجان لو فاي لِتَكونَ خادِمَةً في ٱلمَطْبَخِ .

وَحينَ ٱجْتازا ٱلأَبْوابَ الاثْنَيْ عَشَرَ وَأَصْبَحا حُرَّيْنِ خارِجَ أَسْوارِ ٱلقَلْعَةِ قالَ ٱلسِّيرِ لانْسِلُت غاضِبًا : «مَنْ هُوَ ذٰلِكَ ٱلفارِسُ ٱلنَّذْلُ ؟»

أَجابَتِ ٱلفَتاةُ : «هُوَ السِّيرِ تيرْكِن ٱلنَّهْرِيّ . وَيَقولُ ٱلنّاسُ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلوَحيدُ ٱلقادِرُ عَلى مُواجَهَتِهِ .»

راحَ لانْسِلُت يَفُكُّ رِباطَ ٱلجَوادَيْنِ ٱلقَريبَيْنِ ، وَهُوَ يَقولُ : «فَلْنَرَ ، إِذًا ، إِنْ كانَ ما يَقولُهُ ٱلنّاسُ صَحيحًا !»

وَٱنْطَلَقَ ٱلرّاكِبانِ لَيْلًا ، وَما إِنْ طَلَعَ ٱلفَجْرُ حَتّى كانا قَدْ وَصَلا إِلى شَجَرَةِ ٱلسِّنْدِيانِ ٱلَّتي تَحْمِلُ ٱلدُّروعَ . وَضَرَبَ السِّيرِ لانْسِلُت ٱلقُرْصَ ٱلنُّحاسِيَّ ضَرْبَةً عاضِبَةً هائِلَةً شَقَّتْهُ نِصْفَيْنِ وَأَوْقَعَتْهُ أَرْضًا فَبَرَزَ ٱلسِّيرِ تيرْكِن مِنْ قَلْعَتِهِ ٱلمُواجِهَةِ لِضَفَّةِ ٱلنَّهْرِ ٱلأُخْرى وَتَحَدّى ٱلسِّيرِ لانْسِلُت ، وَصاحَ :

«ما ٱلَّذي تُريدُهُ ؟»

فَصاحَ السِّيرِ لانْسِلُت : «أُريدُ حَياتَكَ ، فَغَيْرُ هٰذا لَنْ يَمْحُوَ ٱلشُّرورَ ٱلَّتي ٱرْتَكَبْتَها .»

وَقابَلَ ٱلفارِسُ ٱلفارِسَ مَرّاتٍ وَمَرّاتٍ إِلى أَنْ تَحَطَّمَ ٱلرُّمْحانِ . فَتَرَجَّلا وَتَضارَبا بِٱلسُّيوفِ ساعَتَيْنِ ، وَأَصابَتْهُما جُروحٌ كَثيرَةٌ ، غَيْرَ أَنَّ ٱلغَلَبَةَ لَمْ تَكُنْ لِواحِدٍ مِنْهُما عَلى ٱلآخَرِ .

وَقالَ السَّيِّر تيرْكِن لاهِثًا ، في لَحْظَةٍ ابْتَعَدَ فيها الفارِسانِ ، أَحَدُهُما عَنِ الآخَرِ ، يَلْتَقِطانِ أَنْفاسَهُما : «أَنْتَ أَشَدُّ مَنْ نازَلْتُ مِنَ الفُرْسانِ ضَراوَةً . وَلَمّا كُنْتُ أُحِبُّ المُقاتِلَ العَظيمَ فَإِنّي سَأَمْنَحُكَ حُرِّيَّةَ سُجَنائي جَميعًا ، ما دُمْتَ لَسْتَ الَّذي أَكْرَهُهُ فَوْقَ ما أَكْرَهُ سائِرَ البَشَرِ .»

فَسَأَلَهُ لانْسِلُت : «مَنْ ذا الَّذي تَكْرَهُهُ هٰذا الكُرْهَ ؟»

فَرَدَّ الفارِسُ العِمْلاقُ قائِلًا : «إِنَّهُ قاتِلُ أَخي السَّيِّر كَرَدوك . فَتَّشْتُ عَنْهُ سَنَواتٍ ، وَأَسَرْتُ ، في أَثْناءِ بَحْثي ، وَقَتَلْتُ العَديدَ مِنَ الفُرْسانِ . اسْمُهُ السَّيِّر لانْسِلُت البُحَيْرِيّ .»

فَأَجابَ السَّيِّر لانْسِلُت بِإِباءٍ : «لا تَبْحَثْ بَعْدَ اليَوْمِ ، فَأَنا هُوَ غَريمُكَ !»

فَزَمْجَرَ السَّيِّر تيرْكِن قائِلًا : «إِذًا ، فَإِمّا أَنا وَإِمّا أَنْتَ !» وَانْقَضَّ أَحَدُهُما عَلى الآخَرِ انْقِضاضًا ضارِيًا . وَتَضارَبا ساعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ، فَدَبَّ الوَهَنُ ، أَخيرًا ، في يَدِ السَّيِّر تيرْكِن وَسَقَطَ مِنْها الدِّرْعُ ، فَوَجَّهَ السَّيِّر لانْسِلُت ضَرْبَةً رَهيبَةً أَهْلَكَتْ خَصْمَهُ .



أَرْسَلَ لانْسِلُت الفَتاةَ إِلى القَلْعَةِ لِإِطْلاقِ سَراحِ أَبيها وَسائِرِ المَسْجونينَ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلى النَّهْرِ لِيَغْسِلَ جِراحَهُ الكَثيرَةَ . وَلٰكِنَّ السَّيِّر لِيونِل وَسائِرَ الفُرْسانِ المُحَرَّرينَ لَمْ يَجِدوا ، حينَ خَرَجوا مِنَ القَلْعَةِ ، أَثَرًا لِمُحَرِّرِهِمْ . فَتَّشوا ساعاتٍ ثُمَّ يَمَّموا صَوْبَ كامِلوت .

نَظَرَ السَّيِّر لِيونِل نَظْرَةً أَخيرَةً حائِرَةً إِلى الدِّماءِ في أَرْضِ القِتالِ المُضْطَرِبَةِ وَقالَ : «أَيَكونُ قَدْ ماتَ ؟»





ٱلفارِسُ ٱلمَجْهولُ

وَكانَ ٱلعَديدُ مِنَ ٱلفُرْسانِ ٱلَّذينَ خَلَّصَهُمُ السِّير لانْسِلُت قَدِ ٱنْقَطَعَتْ أَخْبارُهُمْ طَويلًا حَتّى حُسِبوا في عِداد الأمواتِ. وَلِذا عَمَّ ٱلمَرَحُ وَٱلحَماسَةُ ٱلنّاسَ حينَ رَأَوْهُمْ يَدْخُلونَ مَدينَةَ كامِلوت يَتَقَدَّمُهُمُ السِّير ليونِل والسِّير إكْتور.

وَٱنْتَشَرَ خَبَرُ بُطولاتِ السِّير لانْسِلُت سَريعًا، وَراحَ ٱلجَميعُ يَنْتَظِرونَ عَوْدَةَ فارِسِ ٱلفُرْسانِ. وَلكِنْ طالَ ٱنْتِظارُهُمْ، وَأَخيرًا طَرَحَ ٱلمَلِكُ آرثر عَلى السِّير لَيونِل ٱلسُّؤالَ ٱلَّذي كانَ كُلُّ واحِدٍ يَوَدُّ أَنْ يَطْرُحَهُ، وَهُوَ:

«أَيْنَ السِّير لانْسِلُت؟ لَوْ أَنَّهُ كانَ حَيًّا لكانَ عادَ إِلَيْنا.»

فَرَدَّ ٱلفارِسُ ٱلشّابُّ بِنَبْرَةِ أَمَلٍ، قائلًا: «لَعَلَّهُ لا يَزالُ جَريحًا، يا سَيِّدي، في مَكانٍ هادِىءٍ خَفِيَ عَنّا حينَ فَتَّشْنا المِنْطَقَة.»

فَأَمَرَ ٱلمَلِكُ بِإِرْسالِ آخَرينَ يُفَتِّشونَ في أَماكِنَ شاسِعَةٍ وَنائِيَةٍ، وَلٰكِنَّهُمْ جَميعًا عادوا خائبين.

وَقالَ السِّير كاي ذاتَ يَوْمٍ مُخاطِبًا ٱلمَلِكَ: «لا يَزالُ بِالإِمْكانِ ٱلإِعْلانُ عَنْ دَوْرَةِ ٱلمُبارَزَةِ احْتِفالًا بِانْتِصار ٱلسِّير لانْسِلُت ٱلعَظيمِ، فلا شَكَّ عِنْدي أَنَّ قُوَّةَ السِّير لانْسِلُت سَتَكونُ، في وَقْتٍ تَكْتَمِلُ فيه ٱلاسْتِعْدادات، قَدْ تَغَلَّبَتْ عَلى ٱلجُروحِ، وَأَنَّنا سَنَراهُ بَيْنَنا يُشارِكُ في ٱلاحْتِفالِ بِانْتِصارِهِ.»

وَبِناءً عَلى نَصيحَةِ السَّير كاي ، أُذيعَ عَلى ٱلنّاسِ بَيانٌ يُعْلِنُ أَنَّ دَوْرَةَ ٱلْمُبارَزَةِ ٱلَّتي سَتُقامُ عَلى شَرَفِ السَّير لانْسِلُت سَتَكونُ بَعْدَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا . وَانْتَشَرَ ٱلنَّبَأُ في أَرْجاءِ ٱلْمَمْلَكَةِ كُلِّها .

أَمّا السَّير لانْسِلُت نَفْسُهُ فَلَمْ يَكُنْ قَدْ سَمِعَ بِشَيْءٍ . وَخاطَبَ ٱلنّاسِكَ ٱلعَجوزَ ٱلَّذي كانَ يَعْتَني بِهِ قائِلًا : «ما أَشَدَّ حَظّي ، يا سَيِّدي ٱللَّطيفَ ، أَنْ كانَ كَهْفُكَ ٱلْجافُّ ٱلْمُريحُ هٰذا شَديدَ ٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْمَوْقِعِ ٱلَّذي أُصِبْتُ فيهِ بِجِراحي !»

فَأَجابَ ٱلعَجوزُ قائِلًا : «أَنْتَ حَقًّا مَحْظوظٌ ، يا سَيِّدي ٱلفارِسَ ، إِذْ لَمْ يَسْبِقْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ ٱلنّاسِ وَقَعَ صِدْفَةً عَلى هٰذا ٱلكَهْفِ مِثْلَما وَقَعْتَ عَلَيهِ قَبْلَ خَمْسَةِ أَيّامٍ ، وَمِثْلَما وَقَعْتُ أَنا عَلَيْهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ . إِنَّهُ في قَلْبِ ٱلغابَةِ بَعيدٌ عَنِ ٱلْمَمَرّاتِ ٱلْمَأْلوفَةِ .»

فَرَدَّ السَّير لانْسِلُت بِامْتِنانٍ ، قائِلًا : «فَأَنا مَحْظوظٌ ، إِذًا ، أَكْثَرَ مِمّا كُنْتُ أَحْسَبُ ، وَالحَظُّ كُلُّهُ في أَنْ تَلْقى جِراحي مِثْلَ مَهارَتِكَ في ٱلعِلاجِ .»

فَلَوَّحَ ٱلنّاسِكُ ٱلعَجوزُ بِيَدِهِ مُسْتَكْثِرًا شُكْرَ ٱلفارِسِ ، وَقالَ : «لا تَشْكُرْني ، فَواجِبي أَنْ أَشْكُرَكَ أَنا .»

إِنْدَهَشَ السَّير لانْسِلُت ، وَسَأَلَ مُسْتَفْسِرًا : «لِمَ تَشْكُرُني ، وَأَنا ٱلَّذي شَغَلْتُكَ بِجِراحي وَاسْتَنْفَدْتُ ٱلكَثيرَ مِنْ طَعامِكَ وَمائِكَ ؟»

فَأَجابَ ٱلنّاسِكُ ٱلعَجوزُ . «اليَنْبوعُ ٱلصّافي ٱلقَريبُ لا يَجِفُّ ماؤُهُ ، وَفي الغابَةِ وَسَواقيها طَعامٌ كَثيرٌ . أَمّا جِراحُكَ فَهِيَ ٱلسَّبَبُ ٱلأَوَّلُ لامْتِناني ، فَإِنَّهُ يُشَرِّفُني أَنْ أَعْتَنِيَ بِجِراحٍ أُصيبَ بِها صاحِبُها في أَنْبَلِ ساحاتِ ٱلشَّرَفِ .»



وَسَأَلَ لانسِلُت : «وَما ٱلسَّبَبُ ٱلثّاني ؟»

فَأَجابَ ٱلنّاسِكُ : «وَٱلثّاني هُوَ أَنّي تَحَدَّثْتُ إِلى إِنْسانٍ بَعْدَ سِنينَ عَديدَةٍ مِنَ ٱلانْقِطاعِ عَنِ العالَمِ . فَقَدْ كانَ ٱلمَلِكُ أُوثِر ، والِدُ ٱلمَلِكِ آرْثَر ٱلَّذي سَمِعْتُكَ تُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ اسْمِهِ ، مَلِكًا عَلى بَريطانية في وَقْتٍ لَمْ أَكُنْ أَنا فيهِ شَيْئًا يُذْكَرُ . وَالسَّكْسُون ٱلَّذين تَذْكُرُهُمْ ناقِمًا ، لَمْ يَكونوا آنذاكَ سِوى قَراصِنَةٍ يُغيرونَ سَريعًا وَيَنْسَحِبونَ سَريعًا . وَٱلآنَ أَراهُمْ يُهَدِّدونَ ٱلبِلادَ قاطِبَةً .»

فَرَدَّ لانسِلُت قائِلًا : «لَنْ يَتِمَّ لَهُمْ ذٰلِكَ ما دامَ آرْثَر ، مَلِكُنا وَقائِدُنا ، حَيًّا .»

فَقالَ ٱلعَجوزُ : «وَما دامَ لَهُ مِنَ ٱلأَتْباعِ أَمْثالُكَ مِنَ ٱلرِّجالِ ٱلشُّجْعانِ ! أَنْتَ راحِلٌ غَدًا ، فَلْيَكُنِ ٱللهُ مَعَكَ .»

* * *

أَحسَّ ٱلسِّير لانسِلُت بِٱلسَّعادَةِ وَهُوَ في طَريقِ عَوْدَتِهِ ، فَمَضى عَلى فَرَسِهِ مُتَمَهِّلًا مُبْتَهِجًا بِدِفْءِ ٱلشَّمْسِ . وَأَذْهَلَهُ خَفاءُ كَهْفِ ٱلنّاسِكِ عَنِ ٱلأَنْظارِ ، فَإِنَّهُ لَحْظَةَ تَرَكَ ٱلكَهْفَ ٱلْتَفَتَ حَوْلَهُ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا . لِذا ، فَإِنَّهُ راحَ في طَريقِهِ يُراقِبُ ٱلأَشْجارَ وَٱلصُّخورَ ٱلمُتَمَيِّزَةَ يَتَّخِذُ مِنْها عَلاماتٍ تَهْديهِ إِلى ٱلكَهْفِ لَوِ احْتاجَ مَرَّةً لِلْعَوْدَةِ إِلَيْهِ . وَحَيْثُ لَمْ يَكُنْ ما يُمَيِّزُ كانَ يَشُقُّ لِحاءَ بَعْضِ ٱلأَشْجارِ ٱلضَّخْمَةِ شَقًّا لا يُلاحِظُهُ سِواهُ .

ووصل عِنْدَ لمساءِ إلى ضوحي بلْدةٍ صغيرةٍ وتوقَّفَ أمامَ مرأتينِ تجْمعانِ ثمارَ التُّوتِ مِنْ شُجَيْراتٍ على الطَّريقِ . وَسَأَلَهُما : «ما ٱسْمُ هٰذا ٱلمكانِ ٱللَّطيفِ ؟»



أجابَتِ ٱلصُّغْرى : «هٰذِهِ بَلْدَةُ آستُلَت ، يا سَيِّدي .»

فَقالَ لانسِلُت : «آستُلَت ، أَخْبِراني ، إِذًا ، أَفي ٱلجِوارِ قَلْعَةٌ يَسْتَضيفُني سَيِّدُها هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ ؟»

فَرَدَّتِ ٱلكُبْرى : «ما مِنْ قَلْعَةٍ في ٱلجِوارِ يا سَيِّدي ، وَلٰكِنَّ صاحِبَ ٱلقَصْرِ ٱلقَريبِ السَّيِّر بِرْنارْد سَيَسُرُّهُ أَنْ يَسْتَضيفَكَ .»

وَقَدْ رَحَّبَ السَّيِّر بِرْنارْد حَقًّا بالسَّيِّر لانْسِلُت تَرْحيبًا حارًّا ، دونَ أَنْ يَعْرِفَ مَنْ يَكونُ ضَيْفُهُ وَدونَ أَنْ يُخَمِّنَ ذٰلِكَ مِنْ شِعارِ دِرْعِهِ وَسُرَّ ٱلضَّيْفُ أَنْ لَمْ تَنْكَشِفْ شَخْصِيَّتُهُ ، إِذْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُبالِغَ ٱلقَوْمُ في تَكْريمِهِ بِسَبَبِ مَكانَتِهِ . وَقَرَّرَ أَنْ يُخْفِيَ شَخْصِيَّتَهُ ٱلحَقيقِيَّةَ .

وَقُدِّمَ ٱلطَّعامُ لِلزّائِرِ ، وَسَأَلَ السَّيِّر بِرْنارْد : «ما أَخْبارُ كامِلوت ، يا سَيِّدي ؟ نَحْنُ في آستُلَت لا نَرى وَلا نَسْمَعُ إِلّا ٱلقَليلَ . فَالطَّريقُ ٱلَّذي سَلَكْتَهُ إِلَيْنا يَنْتَهي ها هُنا . وَلا يَسْلُكُهُ إِلّا قِلَّةٌ مِنَ ٱلنّاسِ .»

وَكانَ مَعَ السَّيِّر بِرْنارْد وَلَداهُ السَّيِّر لاڤين والسَّيِّر تايْرِن ، وَٱبْنَتُهُ إيلين ٱلَّتي يُلَقِّبونَها بِٱلجَميلَةِ . وَلَمْ يُبْدِ السَّيِّر لانْسِلُت اهْتِمامًا بِٱلجَميلَةِ مَعَ أَنَّهُ لاحَظَ ما هِيَ عَلَيْهِ مِنْ حَلاوَةٍ وَرِقَّةٍ . في حينِ لَمْ تَرْفَعْ إيلين وَلا السَّيِّر لاڤين عُيونَهُما عَنِ السَّيِّر لانْسِلُت . فَقَدْ كانَ لِلْفارِسِ ٱلعَظيمِ سيماءُ مَهيبَةٌ تَنِمُّ ، في ٱلوَقْتِ نَفْسِهِ ، عَنِ ٱلوَداعَةِ ، فَعَرَفا أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ مُحارِبًا نَبيلاً وَمِغْوارًا .



أَجابَ السَّيرِ لانْسِلُت : «تَرَكْتُ كامِلوت مُنْذُ زَمَنٍ ، فَلا أَعْرِفُ آخِرَ الأَخْبارِ .»

فَقالَ ٱلسَّيرِ لافين بِتَلَهُّفٍ : «لَسْتَ تَقْدِر ، إِذًا ، أَنْ تُخْبِرَنا شَيْئًا عَنْ دَوْرَةِ ٱلْمُبارَزَةِ ٱلعَظيمَةِ ٱلَّتي سَتُقامُ هُناكَ قَريبًا .»

فَاسْتَفْسَرَ السَّيرِ لانْسِلُت قائِلًا : «أَيَّةُ دَوْرَةٍ ؟ لَسْتُ أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ ذلِكَ .»

شَرَحَ السَّيرِ لافين ٱلأَمْرَ بِحَماسَةٍ فَقالَ : «وَصَلَ رَسولٌ مِنَ ٱلبَلاطِ وَقَرَأَ عَلَيْنا بَيانًا يُعْلِنُ عَنْ إِقامَةِ دَوْرَةِ مُبارَزَةٍ احْتِفالًا بِبُطولاتِ السَّيرِ



لانْسِلُت ٱلأَخيرَةِ . فَإِنَّهُ أَنْقَذَ خَمْسينَ فارِسًا وَقاتَلَ ٱلفارِسَ ٱلعِمْلاقَ ٱلَّذي كانَ يَحْتَجِزُهُمْ ثَلاثَةَ أَيّامٍ مُتَوالِيَةٍ ، ثُمَّ قَتَلَهُ .»

اِبْتَسَمَ لانْسِلُت ابْتِسامَةً خَفِيَّةً ، وَقالَ : «أَحَقًّا أَنَّهُ قَتَلَ عِمْلاقًا ؟»

فَأَجابَ لافين : «لَقَدْ فَعَلَ ذلِكَ حَقًّا . وَيُقالُ إِنَّ طولَ ٱلعِمْلاقِ كانَ ثَلاثَةَ أَمْتارٍ .»

اِبْتَسَمَ السَّيرِ بِرْنارْد وَقال : «اِبْني يُكِنُّ لِلسَّيرِ لانْسِلُت أَعْظَمَ ٱلتَّقْديرِ ، وَهُوَ يَرْجو أَنْ يُصْبِحَ مِثْلَهُ في يَوْمٍ مِنَ ٱلأَيّامِ .»

فَقالَ السَّيرِ لانْسِلُت بِهُدوءٍ : «أَرْجو أَنْ يَظَلَّ يُطِلُّهُ جَديرًا أَبَدًا بِهذا ٱلتَّقْديرِ ٱلعَظيمِ .» ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلى السَّيرِ بِرْنارْد وَقالَ : «أَعِنْدَكَ دِرْعٌ غَيْرُ هذِهِ ٱلَّتي مَعي ؟ فَدِرْعي مَعْروفَةٌ في كامِلوت وَقَدْ قَرَّرْتُ أَنْ أَشْتَرِكَ في دَوْرَةِ ٱلْمُبارَزَةِ هذِهِ ، وَأوثِرُ أَلّا يَعْرِفَ أَحَدٌ هُناكَ مَنْ أَكونُ .»

فَأَجابَ ٱلسَّيرِ بِرْنارْد : «يَسُرُّني أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ دِرْعًا يا سَيِّدي . فَقَدْ وَقَعَ ابْني السَّيرِ تايْرُن عَنْ ظَهْرِ جَوادِهِ في ٱلأُسْبوعِ ٱلْمُنْصَرِمِ ، وَلا يَزالُ عاجِزًا عَنِ ٱلرُّكوبِ . فَخُذْ دِرْعَهُ .»

فَرَدَّ ٱلسَّيرِ لانْسِلُت قائِلًا : «شُكْرًا .»

وَقالَ السِّير بِرْنارْد : «هَلْ لي أَنْ أَسْأَلَكَ مَعْروفًا ؟ فَابْني الأَصْغَرُ ، السِّير لافين يَتَشَوَّقُ إلى فُرْصَةٍ يُثْبِتُ فيها فُروسِيَّتَهُ . فَهَلْ تَسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يُرافِقَكَ إلى دَوْرَةِ ٱلْمُبارَزَةِ في كامِلوت ؟»

فَأَجابَ لانْسِلُت : «مَرْحَبًا بِهِ . وَسَأُساعِدُهُ هُناكَ بِقَدْرِ طاقَتي .»

وَحينَ اسْتَعَدَّ ٱلفارِسانِ لِلانْطِلاقِ صَباحًا اقْتَرَبَتِ ٱلصَّبِيَّةُ إيلين مِنَ السِّير لانْسِلُت ، وَقالَتْ بِخَجَلٍ : «أَتَمَنّى لَكَ يا سَيِّدي أَعْظَمَ مَراتِبِ الشَّرَفِ وَأَوْسَعَ الشُّهْرَةِ في هٰذِهِ ٱلدَّوْرَةِ .» ثُمَّ وَقَفَتْ حائِرَةً ، وَقَدْ عَلَتْ خَدَّيْها حُمْرَةُ الخَجَلِ . وَقالَتْ بِتَرَدُّدٍ : «سَيِّدي ، هَلْ لي أَنْ أُقَدِّمَ لكَ شَريطًا تَحْمِلُهُ عَلامَةً وَرَمْزًا لِلْحَظِّ السَّعيدِ ؟»

فَابْتَسَمَ لانْسِلُت ، وَرَدَّ رَدًّا رَقيقًا ، قائِلًا : «سَيِّدَتي ٱلْجَميلَةَ ، أَنا لَمْ أَحْمِلْ شَريطَ امْرَأَةٍ مِنْ قَبْلُ .»

طَفَرَتِ ٱلدُّموعُ مِنْ عَيْنَيْ إيلين واسْتَدارَتْ وَمَضَتْ . وَلَمْ يَكُنْ لانْسِلُت يَقْصِدُ جَرْحَ شُعورِها ، فَسَأَلَها أَنْ تَعودَ ، وَقالَ بِلُطْفٍ : «هاتي شَريطَكِ ، يا صَبِيَّةُ ، فَسَوْفَ أَحْمِلُهُ مَعي . وَأَنْتِ ، مُقابِلَ ذٰلِكَ ، تُحافِظينَ عَلى دِرْعي إلى أَنْ أَعودَ .»



انْطَلَقَ السِّير لانسِلُت والسِّير لافين سَوِيَّةً مُتَوَجِّهَيْنِ إلى كاملوت ، فَوَصلاها في يَوْمِ المُبارَزَةِ نَفْسِهِ . وَأَخْفَيا أَمْرَهُما عَنِ الجَميعِ .

وَقَدْ رُتِّبَ أَمْرُ النِّزالِ بِحَيْثُ يَكونُ فَريقًا مُقابِلَ فَريقٍ ، وَلَيْسَ فارِسًا مُقابِلَ فارِسٍ ، كَما كانَتِ العادَةُ في المُبارَزاتِ . وَلِلْمَلِكِ آرْثَر أَنْ يُقَرِّرَ مَنْ مِنَ الفُرْسانِ كانَ مُجَلِّيًا بَيْنَ أَقْرانِهِ فَيُقَدِّمَ لَهُ الجائِزَةَ ، أَيًّا كانَ الفَريقُ الَّذي يَنْتَمي إليه . وَقَدْ ضَمَّ الفَريقُ الأَوَّلُ السِّير كاي والسِّير بورْس والسِّير موردْرِد وَجَماعَةً مِنْ فُرْسانِ المائِدَةِ المُسْتَديرَةِ ، وَضَمَّ الفَريقُ الثّاني فُرْسانًا مِنَ الشَّمالِ كانوا أَقَلَّ عَدَدًا وَلكِنَّهُمْ أَشِدّاءُ شُجْعانٌ . وَلَمْ يَنْضَمَّ السِّير لانسِلُت في بِدايَةِ الأَمْرِ لِأَيٍّ مِنَ الفَريقَيْنِ ، وَقالَ مُخاطِبًا السِّيرَ لافين :

«نَنْتَظِرُ ، ثُمَّ نُساعِدُ مَنْ يَكونُ بِحاجَةٍ إلى عَوْنِنا ، فَلَيْسَ في المُبارَزَةِ الهَيِّنَةِ مِنْ شَرَفٍ .»

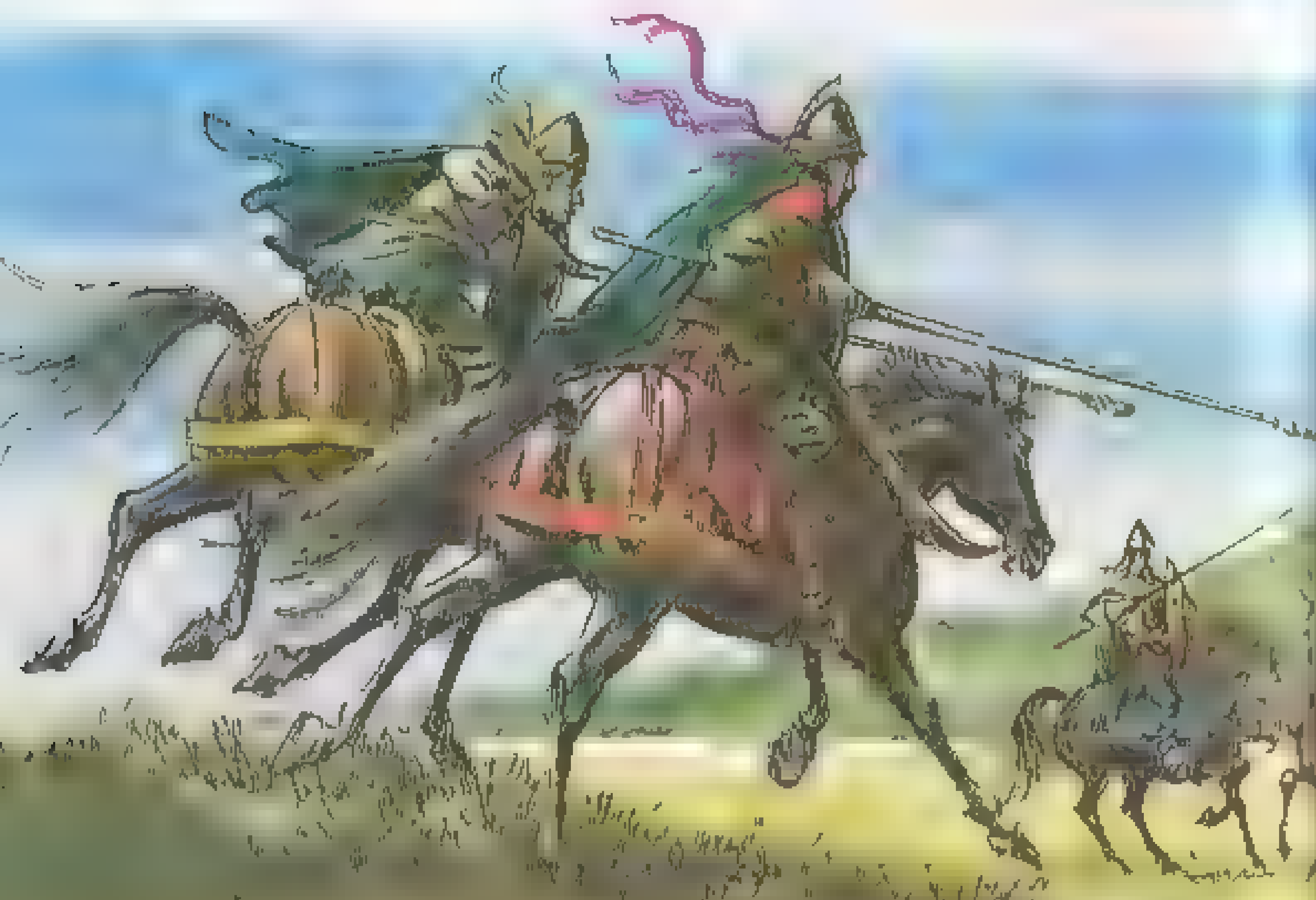
وَهكَذا انْطَلَقَ لانسِلُت هُوَ وَمُرافِقُهُ الشّابُّ إلى قِمَّةِ تَلَّةٍ مُشَجَّرَةٍ مُشْرِفَةٍ على إِحْدى نِهايَتَيِ المَيْدانِ ، وَراحا يُراقِبانِ المُبارَزَةَ وَسُرْعانَ



ما اتَّضَحَ أَنَّ شَجاعَةَ فُرْسانِ الشَّمالِ وَاسْتِبْسالَهُمْ في القِتالِ غَيْرُ كافِيَيْنِ لِمُواجَهَةِ كَثْرَةِ خُصومِهِمْ .

قالَ السِّير لافين : «أُنْظُرْ . أُنْظُرْ كَيْفَ يُواجِهُ مَنْ تَبَقّى مِنْ هؤُلاءِ الرِّجالِ الشُّجْعانِ قُوَّةً تُعادِلُ ثَلاثَةَ أَضْعافِهِمْ عَدَدًا ، مَعَ أَنَّ الهَجَماتِ تَأْتيهِمْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ .»

فَصَرَخَ السِّير لانسِلُت : «فَلْنَذْهَبْ إلى نُصْرَتِهِمْ ، إذًا .» ثُمَّ هَمَزَ جَوادَهُ . وَفَعَلَ السِّير لافين فِعْلَهُ ، واقْتَحَما قَلْبَ المَعْرَكَةِ . وَفي الصِّدامِ الأَوَّلِ أَوْقَعَ لانسِلُت السِّير كاي وَاثْنَيْنِ مِنْ مُرافِقيهِ أَرْضًا ، وَفي الثّاني أَوْقَعَ خَمْسَةَ فُرْسانٍ . وَتَقَهْقَرَ الفُرْسانُ الآخَرونَ تَقَهْقُرًا مُضْطَرِبًا . بَيْنَما رَحَّبَ فُرْسانُ الشَّمالِ بِالغَريبَيْنِ المَجْهولَيْنِ تَرْحيبًا .



وَأَدْرَكَ السَّيِر بورْس وَالسَّير لَيونِل والسَّير إكْتور أنَّهُ لا بُدَّ مِنْ إزاحَةِ ٱلغَريبِ ذي ٱلدِّرْعِ ٱلعادِيَّةِ غَيْرِ ٱلمُمَيَّزَةِ وَٱلخوذَةِ ٱلمُزَيَّنَةِ بِشَريطِ امْرَأَةٍ ، وَإِلّا ضاعَتْ فُرَصُهُمْ في ٱلانْتِصارِ . فَما إِنِ ٱسْتُؤْنِفَ ٱلقِتالُ حَتّى انْقَضَّ هٰؤُلاءِ ٱلثَّلاثَةُ مَعًا عَلى السَّيِر لانْسِلُت . وَكانَ ٱلصِّدامُ



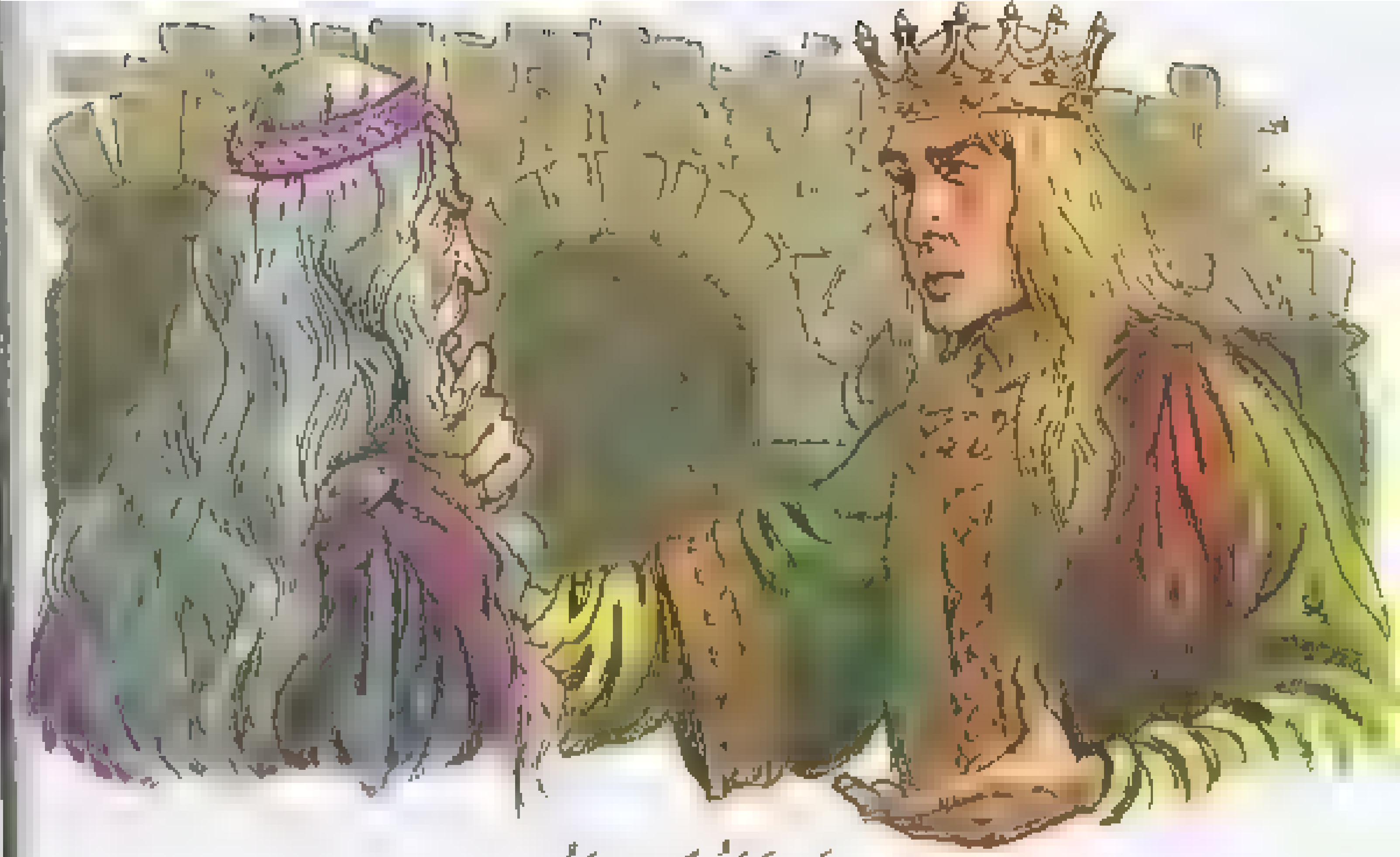
رَهيبًا وَقَعَ عَلى أَثَرِهِ فَرَسُ لانْسِلُت وَاخْتَرَقَ رُمْحُ السَّيِر بورْس جَنْبَ ٱلفارِسِ .

وَلَمّا رَأى السَّيِر لافين ما يُعانيهِ صَديقُهُ انْقَضَّ انْقِضاضًا شَرِسًا عَلى السَّيِر موردْرِد وَقَلَعَهُ مِنْ عَلى سَرْجِ جَوادِهِ . ثُمَّ أَخَذَ ٱلجَوادَ إِلى ٱلسَّيِر لانسلت ٱلجَريحِ وَأَعانَهُ عَلى رُكوبِهِ . وَتَناوَلَ لانْسِلُت رُمْحًا آخَرَ وَتَحامَلَ عَلى جُرْحِهِ وَأَلَمِهِ وَصالَ فِي ٱلمَيْدانِ مُجَنْدِلًا بورْس ولَيونِل وإِكْتور وَثَلاثَةَ فُرْسانٍ آخَرينَ . وَفَرَّ مَنْ تَبَقّى مِنَ ٱلفُرْسانِ خَوْفًا مِنْ قُوَّتِهِ ٱلخارِقَةِ .

اِلْتَفَتَ ٱلمَلِكُ آرْثر إِلى السَّيِر جاوين ، وَقالَ : «مَنْ هُوَ هٰذا ٱلفارِسُ ٱلباسِلُ ٱلَّذي يَرْبِطُ إِلى خوذَتِهِ شَريطًا وَرْدِيًّا ؟ لا أَعْرِفُ مِنَ ٱلفُرْسانِ مَنْ يُقاتِلُ هٰذا ٱلقِتالَ غَيْرَ لانْسِلُت نَفْسِهِ ، وَلٰكِنَّ لانْسِلُت لا يَحْمِلُ أَبَدًا شَريطَ امْرَأَةٍ .»

أَجابَ جاوين : «لا أَعْرِفُ مَنْ يَكونُ ، يا سَيِّدي . وَلٰكِنْ سَنَعْرِفُ ذٰلِكَ عَمّا قَريبٍ ، فَفَريقُهُ مَلَكَ ٱلمَيْدانَ .»

وَنُفِخَ فِي ٱلبوقِ إِيذانًا بِانْتِهاءِ ٱلمُبارَزاتِ ، وَأَعْلَنَ ٱلمَلِكُ أَنَّ ٱلجائِزَةَ مِنْ حَقِّ فارِسِ ٱلشَّريطِ ٱلوَرْدِيِّ . وَلٰكِنْ ذَهِلَ ٱلجَميعُ إِذِ اخْتَفى ٱلفارِسُ ٱلبَطَلُ ، وَاخْتَفى مَعَهُ مُرافِقُهُ ٱلفارِسُ ٱلشّابُّ .



الصَّبِيَّةُ الجَميلَةُ

وَكانَ حديثُ أَهْلِ كاملوت ، عامَّتِهم وخاصَّتِهم ، يَدورُ في اليومِ التّالي حَوْلَ اخْتِفاءِ الفارِسِ المَجْهولِ اخْتِفاءً مُحَيِّرًا .

وَتَساءَلَ المَلِكُ آرْثر قائلًا «تُرى ، أَيَكونُ أَمامَنا الآنَ أَمْرانِ غامِضانِ بَدَلًا مِنْ واحِدٍ : الأَوَّلُ أَنّا لا نَجِدُ لانْسِلُت الشُّجاعَ ، وَالثّاني أَنَّ فارِسًا مَجْهولًا يَفوزُ بِدَوْرَةِ السِّيرِ لانْسِلُت عَلى جَميعِ الفُرْسانِ ، ثُمَّ يَخْتَفي قَبْلَ أَنْ يَتَسَلَّمَ جائِزَتَهُ ؟» وَالتَفَتَ المَلِكُ إِلى ميرلِن العَجوزِ ، وَقالَ : «أَتَظُنُّ ، يا صَديقي القَديمَ ، أَنَّ في الأَمْرِ سِحْرًا ؟»

فَهَزَّ السّاحِرُ العَجوزُ رَأْسَهُ ، وَقالَ : «لَيْسَ في الأَمْرِ سِحْرٌ ، يا سَيِّدي . وَلكِنْ وَراءَ الأَمْرَيْنِ الغامِضَيْنِ أَسْبابًا وَجيهَةً قَدْ نَقْدِرُ عَلى مَعْرِفَتِها .» وَصَمَتَ لَحْظَةً مُتَأَمِّلًا ، ثُمَّ قالَ : «لَعَلَّنا كُنّا في تَلَهُّفِنا لِلْبَحْثِ نَريدُ في تَشْويشِ الأُمورِ عَلى أَنْفُسِنا. القِلَّةُ قد تَفْضُلُ الكَثْرَةَ !

وَأَقْتَرِحُ أَنْ يَخْرُجَ فارِسٌ حَكيمٌ واحِدٌ بَحْثًا عَنِ الجَوابِ الشّافي .»

وَرَغِبَ كُلُّ فارِسٍ في أَنْ تَكونَ هٰذِهِ المُغامَرَةُ مِنْ نَصيبِهِ ، غَيْرَ أَنَّ المَلِكَ آرْثر اخْتارَ السِّيرَ جاوين الَّذي حَمَلَ سِلاحَهُ وَمَضى في التَّوِّ وَالسّاعَةِ .

وَكانَ السِّيرُ لانسِلُت طَوالَ هٰذِهِ الفَتْرَةِ راقِدًا لِلْمَرَّةِ الثّانِيَةِ في كَهْفِ النّاسِكِ . فَإِنَّهُ لَمّا رَأى ما أُصيبَ بِهِ مِنْ جُرْحٍ بالِغٍ في المُبارَزَةِ رَجا السِّيرَ لاڤين أَنْ يَبْتَعِدَ بِهِ قَبْلَ خِتامِ الدَّوْرَةِ . وَأَحَسَّ السِّيرُ لانْسِلُت بِوَهَنٍ لِما نَزَفَ مِنْ دَمٍ ، وَلٰكِنَّهُ تَمَكَّنَ مِنْ تَوْجيهِ السِّيرِ لاڤين إِلى كَهْفِ العَجوزِ ، اعْتِمادًا عَلى الأَشْجارِ الَّتي كانَ قَدْ حَفَرَ عَلَيْها عَلاماتِهِ . وَها هُوَ الآنَ يَرْقُدُ في الكَهْفِ غائِبًا عَنِ الوَعْيِ ، مُرْتَفِعَ الحَرارَةِ ، بَيْنَما يَقومُ العَجوزُ وَالفارِسُ الشّابُّ بِالعِنايَةِ بِهِ .

وَفي هٰذِهِ الأَثْناءِ واصَلَ السِّيرُ جاوين بَحْثَهُ فَوَصَلَ إِلى بَلْدَةِ آسْتُلَت ، وَنَزَلَ في قَصْرِ السِّيرِ بِرْنارْد .

وَسَأَلَ السِّيرُ بِرْنارْد ضَيْفَهُ قائِلًا . «قُلْ لي ، يا سَيِّدي ، كَيْفَ دارَتِ المُبارَزاتُ في كاملوت ، وَمَنِ الَّذي انْتَصَرَ فيها ؟»

كانَ السِّيرُ جاوين قَدْ لاحَظَ ، مُنْذُ لَحْظَةِ وُصولِهِ ، ما هِيَ عَلَيْهِ إيلين ، ابْنَةُ الفارِسِ العَجوزِ ، مِنْ شُحوبٍ وَاسْتِغْراقٍ في التَّفْكيرِ ، وَلاحَظَ الآنَ أَنَّهُ ما إِنْ شَرَعَ في الحَديثِ عَنِ المُبارَزاتِ حَتّى تَوَرَّدَ خَدّاها .

قالَ ٱلسِّير چاوين : «أَقْبَلَ فارسانِ يَحْمِلانِ دِرْعَين عاديَّتَيْنِ غَيْرَ مُمَيَّزَتَيْنِ ، وَيَرْبِطُ أَحَدُهُما بِخوذَتِهِ شريطًا وَرْديًّا .»



شَهَقَتْ إيلين حينَ سَمِعَتْ هذهِ ٱلكَلِماتِ وَوَقَعَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْها أَشْغالُ ٱلإِبْرَةِ ٱلَّتي كانَتْ تَقومُ بِها .

وَتابَعَ السِّير چاوين كَلامَهُ قائِلًا : «لَمْ أَرَ في حَياتي فارِسًا لَهُ بَسالَتُهُ وَلا مُقاتِلًا لَهُ صَوْلَتُهُ .»

فَصَرَخَتْ إيلين صَرْخَةَ ابْتِهاجٍ قائِلَةً : «كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُ سَيُبْلي ٱلْبَلاءَ ٱلْحَسَنَ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ فيهِ أَنْبَلَ ٱلْفُرْسانِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ قَلْبي سَيَكونُ ، ما حَييتُ ، لَهُ وَحْدَهُ .»

فاسْتَفْسَرَ السِّير چاوين مُتَلَهِّفًا : «أَتَعْرِفينَهُ ، إذًا ؟ أَتَعْرِفينَ اسْمَهُ ، وَمِنْ أَيِّ بَلَدٍ يَكونُ ؟»

تَأَلَّقَتْ عَيْنا إيلين وَهِيَ تُجيبُ قائِلَةً : «لا أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ . لا أَعْرِفُ إِلّا أَنّي أُحِبُّهُ ٱلْحُبَّ كُلَّهُ .»

وَرَوى ٱلأَبُ وَٱبْنَتُهُ قِصَّةَ ٱلفارِسِ ٱلغَريبِ ٱلَّذي أَقامَ في ٱلْقَصْرِ لَيْلَةً ثُمَّ تَرَكَهُ في ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي لِيَشْتَرِكَ في دَوْرَةِ ٱلْمُبارَياتِ ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ دِرْعَهُ وَاسْتَعاضَ عَنْهُ بِدِرْعٍ غَيْرِ مُمَيَّزَةٍ تُساعِدُ عَلى إِخْفاءِ شَخْصِيَّتِهِ .

فَقالَ السِّير چاوين : «آتوني الدِّرْعَ ، أَتَوَسَّلُ إِلَيْكُمْ .»



أَتَتْ إيلين بِالدِّرْعِ وَرَفَعَتْ عَنْها غِطاءَ الحرير الَّذي صَنَعَتْهُ لَها . وَقالَتْ :

«اُنْظُرْ . الدِّرْعُ تَتَأَلَّقُ كَما كانَتْ تَتَأَلَّقُ يَوْمَ تَرَكَها عِنْدي . فَإِنِّي كُنْتُ أُلَمِّعُها يَوْمِيًّا بِيَدَيَّ .»

نَظَرَ السِّير چاوين إلى الدِّرْعِ وَقالَ : «واأَسَفاه ! حَقًّا إِنَّ هٰذا لَيَوْمٌ حَزينٌ .»

فَصَرَخَتْ إيلين مُرْتاعَةً : «يَوْمٌ حَزينٌ ؟ حَزينٌ لِمَ ؟»

فَرَدَّ چاوين قائلًا : «لِأَنَّ صاحِبَ هٰذا الدِّرْعِ هُوَ أَنْبَلُ الفُرْسانِ وَأَشْجَعُهُمْ وَأَرْفَعُهُمْ مَكانَةً .»

فَقالَتْ إيلين بِاعْتِزازٍ «هٰذا ما كانَ قَلْبي يُحَدِّثُني بِهِ . فَلِمَ ، إِذًا ، يَكونُ هٰذا اليَوْمُ حَزينًا ؟»

فَأَجابَ چاوين بِقَلْبٍ مُثْقَلٍ : «لَقَدْ رَأَيْتُ السِّير لانسلُت ، صاحِبَ هٰذِهِ الدِّرْعِ ، يُصابُ بِجُرْحٍ بالِغٍ أَخْشى أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهِ .»

اِرْتَمَتْ إيلين ، حينَ سَمِعَتْ هٰذِهِ الكَلِماتِ ، جاثِيَةً إلى جانِبِ السِّير چاوين ، وَالدُّموعُ تَنْهَمِرُ مِنْ مُقْلَتَيْها ، وَصَرَخَتْ بِنَبْرَةٍ موجِعَةٍ .

«لا ، لَنْ يَكونَ ذٰلِكَ . أَيْنَ هُوَ الآنَ ؟ لا بُدَّ مِنْ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ في الحالِ ، فَإِنَّهُ إذا ماتَ مِتُّ أَنا مَعَهُ .»

أَحاطَ السِّير چاوين كَتِفَ إيلين بِذِراعِهِ إحاطَةً رَفيقَةً ، وَقالَ لَها : «لا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَيْنَ هُوَ الآنَ . لَقَدْ تَرَكَ دَوْرَةَ المُبارَزاتِ بِصُحْبَةِ أَخيكِ دونَ أَنْ يَلْمَحَهُما أَحَدٌ . وَلَمْ نَعْثُرْ لَهُ عَلى أَثَرٍ مُنْذُ ذٰلِكَ الوَقْتِ ، وَضاعَتْ جُهودُنا المُضْنِيَةُ في البَحْثِ عَنْهُ هَباءً .»

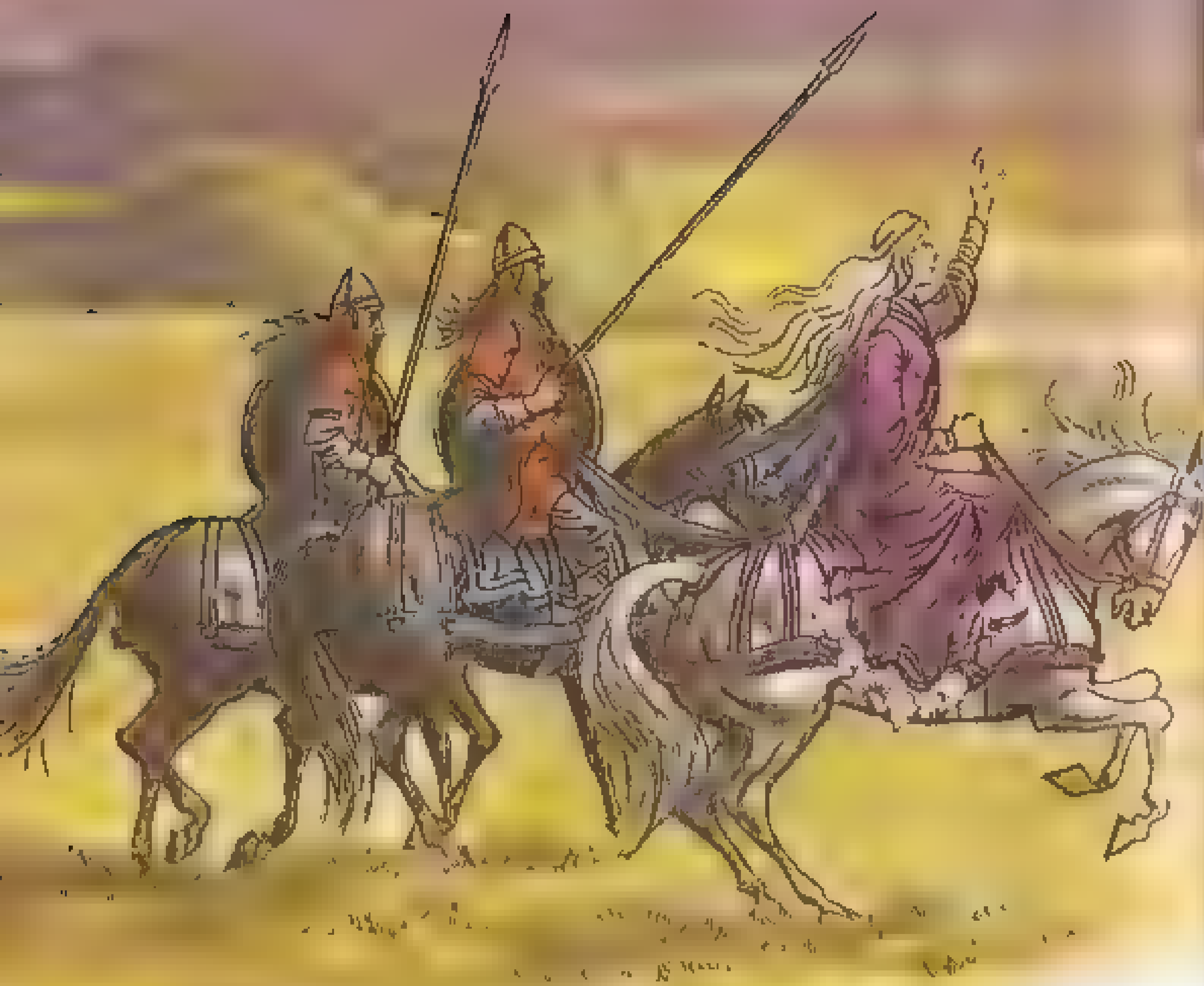
وَرَدَّتْ إيلين بِشَجاعَةٍ قائِلَةً : «إِذًا ، أَبْحَثُ عَنْهُ بِنَفْسي . يا أَبي العَزيزَ ، أَتَأْذَنُ لي بِالمُضِيِّ لِلْبَحْثِ عَنْ هذا الفارِسِ النَّبيلِ الَّذي أُحِبُّهُ فَوْقَ ما أُحِبُّ الحَياةَ نَفْسَها ؟ فَمَنْ يَهْنَأُ لي عَيْشٌ حَتّى أَعْثُرَ عَلَيْهِ .»



وهكذا انْطَلَقَتْ صَبِيَّةُ آسْتُلت يُرافِقُها رَجُلان مُسَلَّحانِ يَحْرُسانِها وَيُساعِدانِها. تَوَجَّهَتْ أَوَّلًا إلى كامِلوت، وَمِنْ هُناكَ كانَتْ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ مُفَتِّشَةً في اتِّجاهٍ. في الأَيّامِ الثَّلاثَةِ الأُولى بَحَثَتْ دون طائِلٍ. وَفي اليَوْمِ الرّابِعِ، وَبَيْنَما كانَتْ ماضِيَةً فَوْقَ سَهْلٍ واسِعٍ مُعْشِبٍ، لَمَحَتْ مِنْ بَعيدٍ فارِسًا يُجْري فَرَسَيْنِ وَكَأَنَّهُ يَقومُ بِتَمْرينِهِما

وما إنِ اقْتَرَبَ الفارِسُ حَتّى عَرَفَتْهُ إيلين وَهَمَزَتْ جَوادَها نَحْوَهُ بِتَلَهُّفٍ، وَصَرَخَتْ: «لاڤين! لاڤين، أَيْنَ سَيِّدي السّير لانسِلُت؟»

اِمْتَلَأَ قَلْبُ لاڤين بَهْجَةً حينَ شاهَدَ أُخْتَهُ، وَقَصَّ عَلَيْها، وَهُما في طَريقِهِما إلى كَهْفِ النّاسِكِ، القِصَّةَ كُلَّها وَرَوَتْ لَهُ، بِدَوْرِها، خَبَرَ زِيارَةِ السّير چاوين لِقَصْرِهِم.



وَما إنْ رَأَتْ إيلين السّير لانسِلُت وَما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ شُحوبٍ وَمَرَضٍ حَتّى جَثَتْ راكِعَةً تَبْكي إلى جانِبِهِ.

فَخاطَبَها السّير لانسِلُت بِرِقَّةٍ قائِلًا: «لِمَ تَبْكينَ يا إيلين. جِراحي تَلْتَئِمُ، وَسَأَتَعافى قَريبًا.»

فَأَجابَتْ: «أَبْكي فَرَحًا لِأَنّي وَجَدْتُكَ حَيًّا، يا سَيِّدي السّير لانسِلُت.»



وَلَمْ تَعُدْ إيلين ، مُنْذُ تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ ، تُفارِقُ مَكانَها إلى جِوارِ ٱلفارسِ ٱلجَريحِ ، لَيْلًا أَوْ نَهارًا ، إلّا فيما نَدَرَ . كانَتْ تأْتيهِ بِٱلطَّعامِ وَٱلشَّرابِ ، وَتَغْسِلُ وَجْهَهُ وَتَعْتَني بِجِراحِهِ . وَكانَ ٱلسّير لانْسِلُت ، كَعادَتِهِ ، لَطيفًا عَطوفًا ، غَيْرَ مُدْرِكٍ لِما كانَتْ تَكِنُّهُ لَهُ ٱلصَّبِيَّةُ مِنْ حُبٍّ مُلْتَهِبٍ شَريفٍ .

اِنْقَضَتْ أَيّامٌ عَديدَةٌ رَأى ٱلنّاسِكُ ٱلعَجوزُ بَعْدَها أَنَّ قُوَّةَ السّير لانسِلُت تَسْمَحُ لَهُ بِٱلعَوْدَةِ إلى آسْتُلَت . فَحَمَلَهُ ٱلرَّجُلانِ ٱلمُسَلَّحانِ ، وَكانا طَوالَ هٰذِهِ ٱلفَتْرَةِ يُخَيِّمانِ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ ٱلكَهْفِ ، عَلى مِحَفَّةٍ وَنَقَلاهُ إلى قَصْرِ السّير بِرْنارْد .

وَقَدْ عَجَّلَتِ ٱلعِنايَةُ ٱلصّادِقَةُ ٱلَّتي لَقِيَها السّير لانْسِلُت بِشِفائِهِ شِفاءً تامًّا . وَبَعْدَ أَيّامٍ شَكَرَ ٱلسّير بِرْنارْد بِحَرارَةٍ عَلى ضِيافَتِهِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ سَيَرْحَلُ إلى كامِلوت في صَبيحَةِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي . وَلَمّا سَمِعَتْ إيلين كَلِماتِهِ شَحُبَ وَجْهُها شُحوبَ ٱلأَمْواتِ ، وَكادَتْ أَنْ تَقَعَ أَرْضًا لَوْ لَمْ تُمْسِكْ بِها يَدا أَبيها ٱلقَوِيَّتان . وَرأى ٱلعجوزُ أَنَّ عَلَيْهِ تَوْضيحَ ٱلأَمْرِ ، فقالَ :

«سَيِّدي لانْسِلُت : أَقولُ ٱلآنَ ما أَقولُ ، لِأَنَّ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ ذٰلِكَ ، لِأَنَّ ما أَقولُ قَدْ يَعْني حَياةَ ٱبْنَتي أَوْ مَوْتَها .»

بَدَتْ عَلى وَجْهِ السّير لانْسِلُت أَماراتُ ٱلاهْتِمامِ وَٱلتَّأَثُّرِ ٱلعَميقِ ، وَهُوَ يُنْصِتُ إلى ما يَسْمَعُهُ عَنْ حُبِّ إيلين ٱلجارِفِ ٱلطّاهِرِ لَهُ ، وَكَيْفَ أَنَّها أَقْسَمَتْ أَلّا تُحِبَّ إِنْسانًا سِواه .

أَجابَ ٱلسّير لانسِلُت بِتَمَهُّلٍ : «سَيِّدي ٱلجَليلَ ، وَأَنْتِ أَيَّتُها ٱلصَّبِيَّةُ ٱللَّطيفَةُ : أَنا شَديدُ ٱلحُزْنِ لِما عَرَفْتُ مِنْ حُبِّ ٱللَّيْدي إيلين . إنَّ رِقَّةَ ٱلصَّبِيَّةِ وَعَطْفَها لا يَقِلّانِ عن جَمالِها ، غَيْرَ أَنّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُحِبَّها وَلا أَنْ أَتَزَوَّجَها ، لِأَنّي أُحِبُّ ٱمْرَأَةً سِواها ، وَهِيَ ٱلأُخْرى لَيْسَ لي أَنْ أَتَزَوَّجَها .»

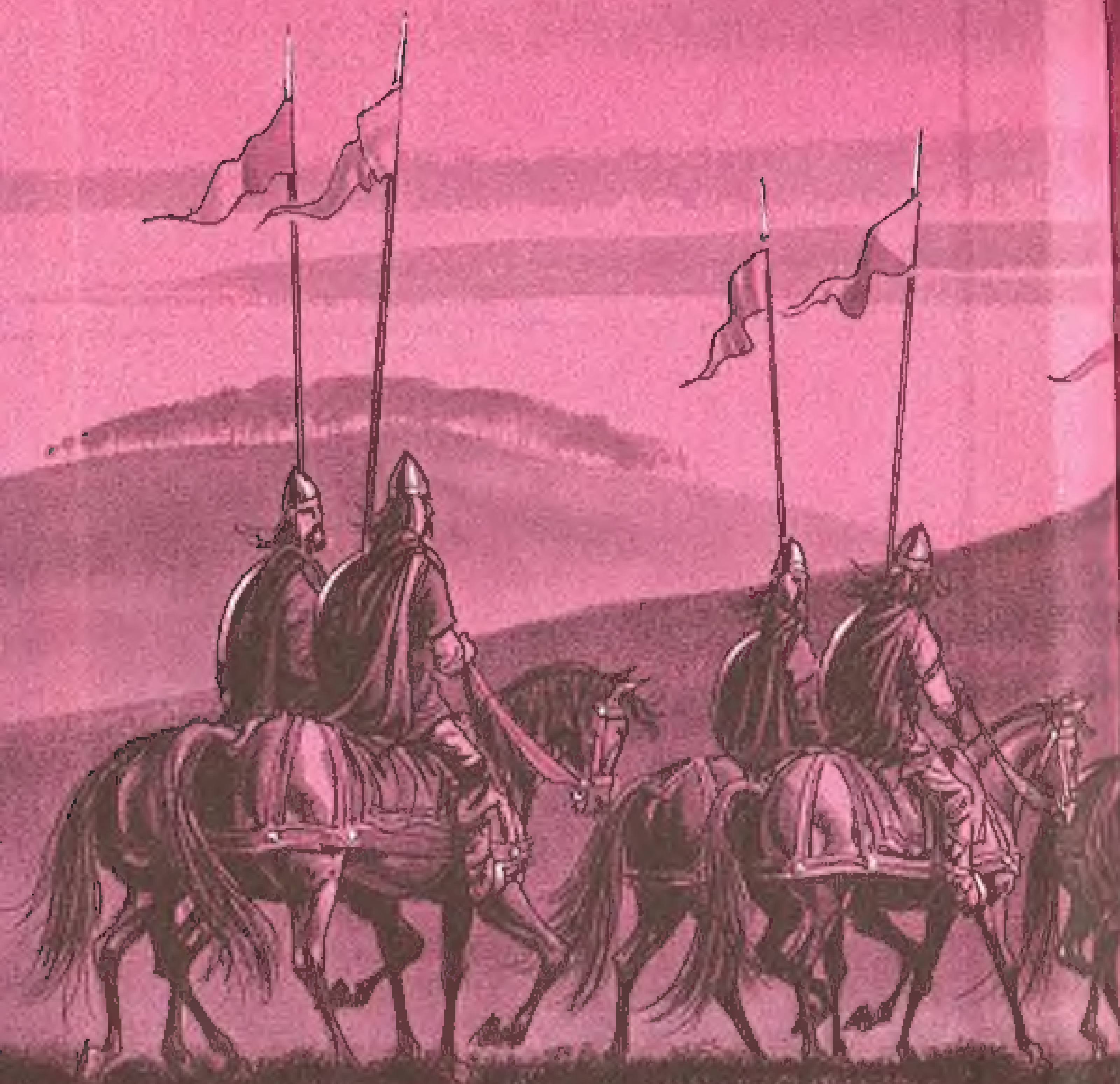
رَحَلَ السِّيرِ لانْسِلُت إلى كامِلوت حَيْثُ اسْتَقْبَلَهُ الْمَلِكُ وَسائِرُ رِجالِ الْبَلاطِ بِفَرَحٍ عَظيمٍ. وَكانَ السِّيرِ جاوين قَدْ سَبَقَهُ حامِلًا النَّبَأَ.

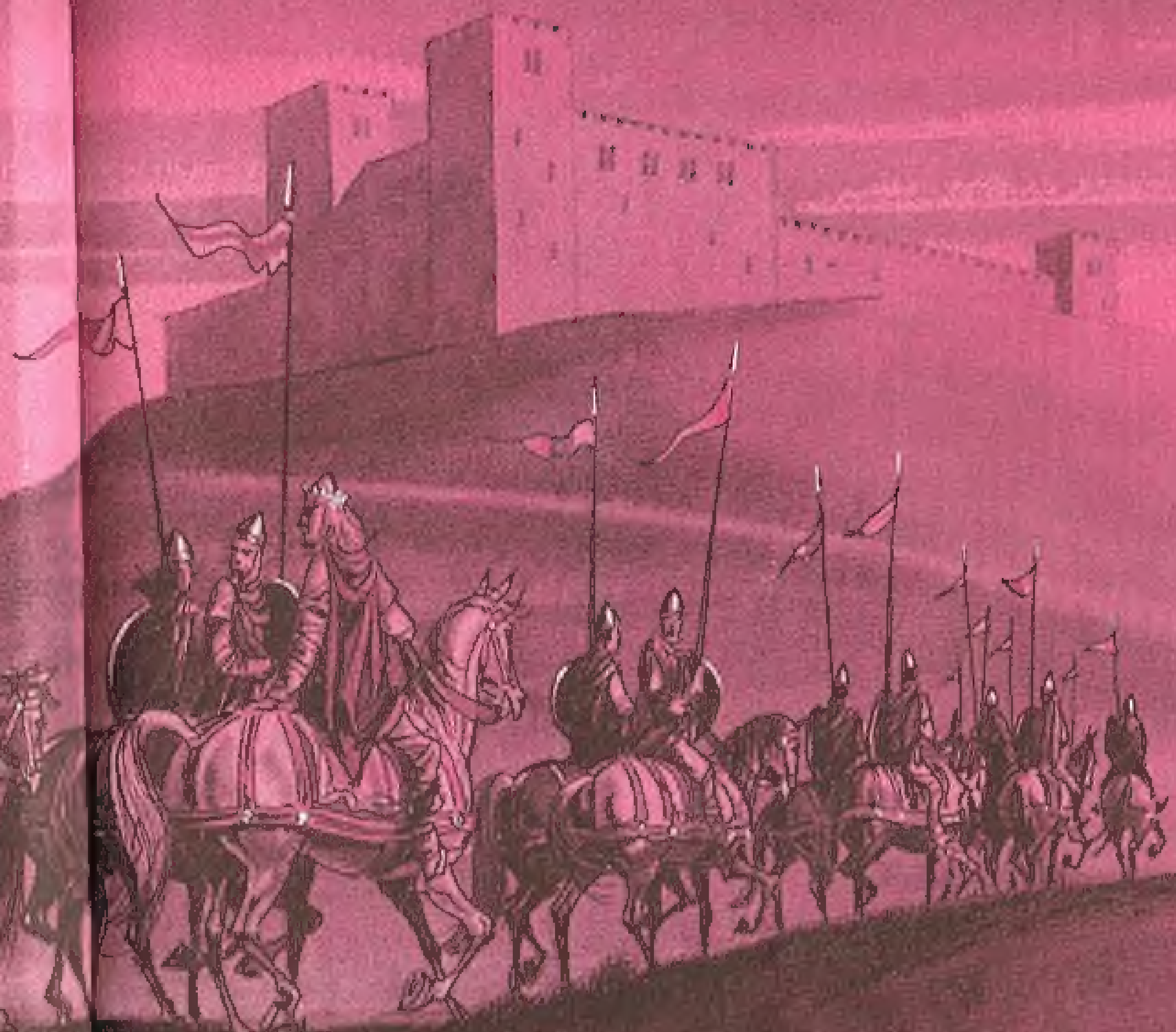
بَعْدَ أَسابيعَ كانَ الْمَلِكُ آرْثر يَتَحَدَّثُ إلى السِّيرِ لانْسِلُت، أَقْرَبِ أَصْدِقائِهِ إِلَيْهِ، أَمامَ نافِذَةٍ مُشْرِفَةٍ مِنْ نَوافِذِ الْقَلْعَةِ. وَرَأَيا، فَجْأَةً، قارِبًا غَريبًا مُجَلَّلًا بِغِطاءٍ مِنَ الْحَريرِ الأَسْوَدِ، يَتَقَدَّمُ تَقَدُّمًا بَطيئًا مَعَ مَجْرى النَّهْرِ. وَكانَ يَقودُهُ شَيْخٌ، مَضى بِهِ إلى أَنْ أَوْقَفَهُ إلى جِوارِ الْقَلْعَةِ. وَتَحَيَّرَ الْمَلِكُ ولانْسِلُت في أَمْرِ هٰذا الْقارِبِ فَنَزَلا إلى ضَفَّةِ النَّهْرِ يَسْتَطْلِعانِ الأَمْرَ. وَذَهِلا إذْ رَأَيا جَسَدَ فَتاةٍ جَميلَةٍ مَيِّتَةٍ مُسَجًّى في الْقارِبِ، يَبْدو لِناظِرِهِ كَما يَبْدو النّائِمُ. وَكانَتْ يَدا الْفَتاةِ الشّاحِبَتانِ تُمْسِكانِ بِرِسالَةٍ. فَسَحَبَ الْمَلِكُ الرِّسالَةَ بِرِفْقٍ وَشَرَعَ يَقْرَؤُها بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ.

وَما إنْ سَمِعَ السِّيرِ لانْسِلُت كَلِماتِ الرِّسالَةِ الأُولى حَتّى سَرى الشُّحوبُ في وَجْهِهِ وَحَنى رَأْسَهُ الْمُثْقَلَ بِحُزْنٍ مُفْجِعٍ.

وَكانَتِ الرِّسالَةُ تَقولُ: «يا أَنْبَلَ الْفُرْسانِ، سَيِّدي السِّيرِ لانْسِلُت: قَتَلَني حُبُّكَ، أَنْتَ يا مَنْ لا تَقْدِرُ عَلى مُبادَلَتي الْحُبَّ. وَلَمّا كُنْتَ فارِسًا لا يُجارى، فَإِنّي أَرْجوكَ أَنْ تَذْكُرَني في أَفْكارِكَ وَأَنْ تُصَلِّيَ مِنْ أَجْلي، أَنا الَّتي كانَ النّاسُ يَدْعونَني الصَّبِيَّةَ الْجَميلَةَ.»







سلسلة «حكايات وأساطير»

١ – علي بابا والأَرْبَعونَ لِصًّا
٢ – عَلاءُ ٱلدّين والمِصْباحُ السِّحْرِيُّ
٣ – رِحْلاتُ جَلِفَر
٤ – حكاياتُ إيسوب (الكتابُ الأَوَّلُ)
٥ – حكاياتُ إيسوب (الكتابُ الثّاني)
٦ – أساطيرُ مَشْهورةٌ (الكتابُ الأَوَّلُ)
٧ – أساطيرُ مَشْهورةٌ (الكتابُ الثّاني)
٨ – سِرُّ المَلِكِ
٩ – مغامراتُ ٱلفارسِ المجهولِ
١٠ – لانسِلُت البُحَيرِيّ
١١ – فارسُ الصَّقْرِ الذَّهَبيّ

Series 740 Arabic